دائرة الثقافة والعلاقات

عيد الغدير

يوم الولاية

من خطب وأحاديث الجمعة

لآية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

والعلامة السيد عبد الله الغريفي (حفظه الله)

www.Olamaa.net

عيد الغدير

يوم الولاية

من خطب وأحاديث الجمعة

لآية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

والعلامة السيد عبد الله الغريفي (حفظه الله)

المقدمة

روى محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبيه، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام : هل للمسلمين عيدٌ غير يوم الجمعة، والأضحى، والفطر؟

قال عليه السلام: نعم، أعظمها حرمة.

قلت: وأي عيد هو؟، جُعلت فداك.

قال عليه السلام : اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال: «مَن كنت مولاه، فعلي مولاه».

قلت: وأي يوم هو؟

قال عليه السلام: وما تصنع باليوم؟!، إنَّ السنة تدور، ولكنه يوم ثمانية عشر من ذي الحجة.

فقلت: وما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟

قال عليه السلام: تذكرون الله (عزّ ذِكْره) فيه بالصيام، والعبادة، والذِّكر لمحمد وآل محمد، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتخذ ذلك اليوم عيدًا، وكذلك كانت الأنبياء تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك، فيتخذونه عيدًا».[1]

---

١ - الكتاب: الكافي، المؤلف: الشيخ الكليني، الجزء: ٤ الوفاة: ٣٢٩ تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش المطبعة: حيدري الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران.

انطلاقًا من الاستنان بسنن النَّبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وإنفاذًا لوصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في اتخاذ هذا اليوم المبارك عيدًا للمسلمين قاطبة، فإنه ينبغي على كلِّ مسلم أن يسعى؛ لإبراز مظاهر الأعياد الإسلامية في هذه المناسبة العظيمة، ومن المعلوم أن أبرز ما يميز أعيادنا هو أجواء العبادة، والشكر لله تبارك وتعالى، والتزاور بين المؤمنين، والتقاء الأهل والأطفال في جو من البهجة والسرور بعيدًا عن أجواء اللهو، والغَفْلة.

وما أحوجنا في مثل هذه الأعياد العظيمة إلى وقفات مع العطاء الفكري والمعرفي الذي تتضمنه هذه المناسبات؛ حتى تنفتح بصائرنا وقلوبنا على المعاني العظيمة التي على أساسها اكتسب هذا العيد كل تلك العظمة والاهتمام البالغ من قبل الله تبارك وتعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، والأنبياء من قبله والأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

يأتي هذا الكتيب، وهو عبارة عن إطلالة فكرية ومعرفية مقتبسة: من خُطب الجمعة لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، بالإضافة إلى حديث من أحاديث الجمعة لسماحة العلامة السيد عبد الله الغريفي، والذي أعدَّ بمساهمة من حوزة المصطفى

للدراسات الإسلامية التخصصية في المجلس الإسلامي العلمائي كجزء من برامج إحياء هذه الموسم المبارك.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وجميع المسلمين؛ للاستنان بسنَّة حبيبه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وأن يتقبل منا هذا القليل، إنه سميع مجيب.

وعيدكم مبارك

دائرة الثقافة والعلاقات

ذو الحجة ١٤٣٢هـ

تهنئة

هنيئًا لكم أهل الولاية بيوم الولاية، يوم الإسلام في كماله وتمامه، وهو يومٌ لو أخذ المسلمون بهداه، لنجوا، ونجت معهم كلُّ الأمم، ولكن تخلَّوا عنه فسقطوا، وسقطت معهم كل الأمم، حتى عادوا من أكثر الأمم تخلّفًا.

عادت أمة الإسلام بعد أن شطّ بها المدى عن إسلامها العظيم إلى أن تكون تحت إمرة بوش، وأن تكون نصرة دول كثيرة من بين دولها لـ(بوش) على الإسلام والمسلمين.

خزيٌ ليس بعده خزي، وعار ليس فوقه عار أن تخرج كلمات تنتصر لـ(بوش) على دولة وأخرى من الدول الإسلامية، وهذا ما تطالعنا به الصحف يومًا بعد يوم.

عيد الغدير له حقوق، وعلينا أن نقترب بمستوانا إلى مستوى تلك الحقوق.

حقوق بعضها مظاهر، وبعضها من العمق، وتقصيرنا على المستويين، ونرجو أن نخرج من هذا التقصير.

نحن حتى على مستوى المظاهر لا نعطي يوم الغدير حقه، فعلينا أن نعطـي الاهتمام الذي لا أقول أنه سيتناسـب مع عيد الغدير، ولكن يكون فيه أداء بعض ما ينبغي.[٢]

٢ - آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٤) ١٧ ذو الحجة ١٤٢٥هـ - ٢٨ يناير ٢٠٠٥ م.

الغدير والإمامة

ترتبط ذِكرى غدير خمّ بقضية الإمامة، والإمامة قيادة إنسان لحركة الإنسانية في اتجاه صاعدٍ لله (عزَّ وجلّ) عبر تبليغ دين الله، وإفهامه، وتنفيذه في حياة النّاس بتعاون من إرادتهم، وبكل نُظمه من نظام عبادي، واجتماعي، واقتصادي، وسياسي، وإداري وعلى مستوى نواحي الحياة كلِّها إيصالًا للنّاس لغاية نُضجهم وكمالهم - الإمام وظيفته تربية العالم على خط الله، السموّ بكل من في العالم بوضعه على خطّ الله سبحانه وتعالى، والإمام كما يدخل في مسؤوليته تربية أصغر صغير، يدخل في مسؤولية تربيته أكبر كبير علمًا وتقوى، ونضجًا وفهمًا -.

وهذا الإمام بهذه الوظيفة الكبرى بالغة الدّقة والخطورة، وما تتطلبه من إحاطة شاملة بالدين، وفهم لا يخطئه، وتفسير لا ينحرف عنه أو به، وأمانة لا تفرّط فيه، ولا تزيد عليه، ولا تنقص منه، وهمَّة عالية لا تقصر عنه، وإرادة حاسمة لا تشكو من ثقل مجاراة أمره ونهيه، وحَمْلِ ما خصَّ وما عمَّ من تكاليفه، ونظرٍ لا يغيب عنه - لا يغيب عن الدين -، واهتمام لا يسهو عن مصلحته،

ومتابعة مستمرة لكل شأنه، وما يعترضه ويتهدّده، ويتحدّاه، وما يستجدُّ على أيّ يد عابثة على أمره، وحراسة لا تغفُل عن كيد أعدائه، وعلم لا يعجز عن الردّ على أيّ شبهة تثار في وجهه، وعزم لا يتراجع أمام أي صعوبة تقف في طريقه...، هذا الإمام بهذه الوظيفة، وكل متطلباتها لا يمكن لأفهام النّاس تشخيصه، ولا يمكن أن يقِلّ عن مستوى العصمة في علمه ونفسيته وعمله، والعصمة ابتداءً واستمرارًا لا يعلمها إلا علّام الغيوب - أعرف منك حسن ظاهر، وتعرف من أخيك حسن ظاهر، تستدل به على حسن واقع إن شاء الله، ولكن ليس لك أن تحلف بأن فلانًا معصوم، لا تملك ذلك، لا تملك أن تحلف على عصمته فعلًا، فضلًا عن أن تملك الحلف على عصمته استمرارًا ومستقبلًا -.

وكثيرًا ما عاندت الأمم المعصوم وإن تجلَّت لهم آثار عصمته - هكذا كان شأن الأمم مع الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وهم معصومون -، وجاء من الآيات أو الكرامات ما يكفي لتأييده، فكيف يُترك تعيينه للناس على ما هم عليه من الجهل والعناد؟!

لذلك لم يتُرك أمر الإمامة للنّاس، وإنما كان الاصطفاء للإمام من الله، وتعيينه من قبله.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

ومَنْ غَير الله يعلم بأنهم صبروا حقًّا الصبر الذي يريده الله، وأنهم كانوا بآيات الله يوقِنون حتّى يتأتى له أن يختارهم للإمامة؟! وكم هم الذين يتغلّبون على هواهم وطموحهم من النُّخب، فلا يزاحمون من علموا بعصمته، ويسلّمون إليه؟!

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣)، ومن يعلم من دون الله أنهم كانوا عابدين حقًّا وصدقًا له سبحانه – ليست عبادة حركات الجوارح، عبادة الداخل، عبادة القلب، عبادة الجوانح، من يعلمها؟

تراني أصلي، تراني أصوم، وأنّي أعبد الله بهذه الصلاة عبادة ظاهرية، أما أن تتيقن داخليًّا أنّي أعبد الله بهذه الصلاة فمن

أين لـك؟، وموحِّدين له، ولم يشـركوا في عبادته طاغوتًا، ولا هوى حتّى يختارهـم أدلَّاء على الله، وقادة الناس إليه، ويبقيهم على ما اختارهم له؟!

﴿وَإِذِ ابْتَلَـى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَـالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًـا قَالَ وَمِـن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْـدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقـرة: ١٢٤).

ومن الذي يعلم مـدى ابتلاء إبراهيم عليه السلام بتلك الكلمات – ووزن ذلك الابتلاء –، والمواقف الصـعبة، والمحن الشـداد، وأنه الابتلاء الذي يعني تجاوزه بنجاح التأهُّل الحقّ للإمامة؟!

نجح إبراهيم عليه السلام في ذلك الامتحان، لكن ذلك الامتحان مؤهّل بالكامل للإمامة أو لا، من يعلم ذلك؟

مـن يعرف وزن الإمامـة، ووزن ذلك الامتحـان؛ ليعرف أن تحقق النجـاح في ذلك الامتحان بوزنـه الخاص يؤهل؛ لتحمّل مسـؤولية الإمامة بوزنها الكبير؟

ومَـن يعلـم إتمام إبراهيـم عليه السلام لتلك الكلمات كما يرضـى الله سـبحانه غير ربّه العليم بما يُكنُّه صـدره، وتُسـرِّه نفسه، وتختزن جوانحه؟!

والإمامـة لا تكـون لمَـن عـدل بعـد ظلمـه كمـا يفهـم مـن سـؤال

إبراهيم عليه السلام وهو المعصوم الذي لا يمكن أن يسأل الإمامة لمن بقي ظالمًا، أو استبدل عن العدل بالظلم، ولا يتَّجه السؤال منه إلا لإمامة مَن كان عدلًا على الإطلاق، أو عدل عن الظلم للعدل وبقي عليه.

والجواب في الآية الكريمة ينفي الإمامة عن الثاني، فلا يبقى لها إلا الأول وهو العدل النقيُّ من الظلم على الإطلاق.

ومن يعلم ذلك النقي العدل على الإطلاق في كل حياته ووجوده غير الله سبحانه؟

ثم إن الشرك من أكبر الظلم، والنفس البريئة من كل شائبة شرك ليست إلَّا نفس المعصوم على المعصومين عليهم السلام.[٣]

الغدير والطاعة

وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩).

---

٣ - آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٣٠) ١٩ ذو الحجة ١٤٣١هـ - ٢٦ نوفمبر ٢٠١٠ م.

١- في الآيــة الكريمة طاعة أصــلية مطلقة شــاملة، وهي لله وحده (أَطِيعُواْ اللّهَ)، ولولا وجوب طاعته سـبحانه لما وجبت لأحد سـواه طاعة على الإطلاق.

وفيهــا طاعة مطلقة شــاملة كذلك لكنها تابعــة لطاعة الله، ونابعة منهــا وهي الطاعة التي تثبتها الآية للرســول صلى الله عليه وآله، ولأولي الأمر (وَأَطِيعُــواْ الرَّسُــولَ وَأُوْلِي الأَمْــرِ مِنكُمْ)، والفــارق بين طاعة الله الثابتة بالأصل، وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله، وأولي الأمر الثابتة بالتبع، ولدخول الأوامر الإجرائية الحكومية في الثانية كُرِّر لفظ (أطيعوا) دون الاكتفــاء بالعطف بـ(الواو) حيــث لم تقل الآية: (وأطيعوا الله والرســول وأولي الأمر فيكم)، بينما جاءت طاعة الرســول صلى الله عليه وآله وأولي الأمــر بلفظ (أطيعوا) مرَّة واحدة مــن غير تكرار (وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)، وهذا يتناسب مع كون طاعة الرسول، وأولي الأمــر من جنس واحــد وهي الطاعة التبعية، ومع اشــتراك الطرفين في وجوب الطاعة بشقيها التبليغ والإجراء.

٢- إذا ثبت الإطلاق لطاعة الرســول، وأولي الأمر - كما هو كذلك - ثبتت العصمة لهم جميعًا، لأنَّ الله (عزَّ وجلَّ) لا يأمر بباطل، ولا

اتِّبــاع باطل أبدًا، ولا يجعل مرجعية عباده المطلقة في الأرض، ومن تنتهي عنده المنازعــة، ولا يجوز أن ينازع فيما يأمر أو ينهي، وفيما يبلغ ويحكم ويقضي من أهل الضلال.

٣- خاطبــت الآيــة الكريمــة المأموريــن بالطاعــة لله، وللرســول، وأولي الأمــر بــأن يــردوا منازعاتهــم الجاريــة بينهــم إلى الله، والرســول، أما الرســول، وأولي الأمــر وهم أهل الطاعــة المطلقة، فــلا يجوز النزاع معهم. والرجوع إلى الرســول ﷺ هو الرجوع إلى الله تبــارك وتعــالى، والرجــوع إلى مَــن يقــوم مقامــه عنــد الله بعــده هــو رجوع إليــه وإلى الله (عزَّ وجــلَّ)، ونعرف ذلك من كــون طاعــة أولي الأمــر والرســول واحدة كمــا في الآيــة الكريمة. حقًّــا إنــه مــع مســتوى الطاعــة الــذي قرَّرتــه الآيــة لأولي الأمر، وهــو بمرتبــة واحدة مــع طاعــة الرســول ﷺ لا يمكــن فرض النــزاع معــه، كيــف يكــون ذلــك وطاعتهــم مطلقــة؟!، ولذلك لم تطــرح الآيــة مرجعيــة للنزاع مــع أولي الأمــر، ولم تفرض نزاعًا معهــم أصــلًا، وإنمــا فرضــته بــين الذيــن أمرتهــم بطاعتهــم. ولــو أردنــا جــدلًا أن نفرض مرجعيــة الكتــاب الكريم للنــزاع مع

أولي الأمـر، فالنـزاع قد يكون خلافًا على الكتاب نفسـه من حيث المضمون؟!، وأما السُّنة فقد يجري الخلاف عليها سندًا ومضمونًا، فـأي الفهمين للكتاب يُحتكم إليه، وأي الرأيين في السـنة من حيث السند والمعنى يصار إليه؟!

فـلا الكتاب الكريم، ولا السـنَّة المطهَّرة يمكـن أن ينهيا النزاع بين الأمَّة وأولي الأمر لو فرضنا.

علـى أن المنازعـة مـع أولي الأمر قـد لا تكون في حكم مـن أحكام الكتـاب والسـنَّة؛ ليقال جـدلًا بإمـكان الرجوع إليهمـا، فكثيرًا ما يكون النزاع في تشـخيص المعلومات، وتقديرات الخارج وموازناته والترجيح المتعلق بذلك مما ليس له تغطية من الكتاب ولا السنة.

وشـأن هـذا الخلـل- وحاشـا الله - في التشـريع بالنقص في هذه المسـألة الأسـاس ألا تقـوم للمسـلمين دولـة مسـتقرة، وأن يجعل حياتهم السياسـية تحـت رحمة الفوضـى، ولا يحكمها غير منطق الحديد والنار.[٤][٥]

٤- صيغ هذا الكلام في ضوء الآية الكريمة صوغًا جديدًا بديلًا عما جاء في الخطبة ارتجالًا اجتنابًا عن الغموض والتشويش. (موقع الشيخ).

٥ - آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٢ يناير ٢٠٠٧ م.

الغدير وإكمال الدِّين

تأخذ بنا مناسبة عيد الغدير الأغر إلى قوله عزّ من قائل: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾. (المائدة: ٣)

بمناسبة الآية الكريمة أذكر النقاط التالية:

أولًا: التبليغ بالإمامة شرط لإتمام الرسالة

كمال الدين بالإمامة التي أرادها الإسلام ورضيها، وبإلغاء الإمامة يدخل النقص على الدين، فان كان الإلغاء نظريًّا وجد الدين ناقصًا على المستوى النظري، ويتبعه النقص في مقام العمل، وإن كان الإلغاء عمليًّا لم يغنِ الكمال النظري في المقام العملي، وعمَّ الدين النقص من الناحية العملية في بنيته كلّها، وحتى الأساس العقيدي منه، وقاعدته التي يقوم عليها.

إنَّ علاقة الإمامة بعناصر الدين الأخرى أصولًا وفروعًا ليست علاقة عددية محضة كعلاقة تسعة وواحد مضاف إلى التسعة بحيث إذا سقط الواحد سقط بنفسه، وبقيت التسعة يؤدي كل

واحد منها دوره الكامل، ويكون الفراغ الذي يتركه الواحد المضاف بسقوطه فراغًا جزئيًّا.

إنّ علاقة الإمامة ببقية العناصر في الدين من أصول وفروع هي علاقة العنصر المعيّن بسائر عناصر المركب الكيميائي، الذي يفقده غياب ذلك العنصر كثيرًا من أثره، والنتائج المرجوة منه، ويلحقه نتائج متعبة كذلك، ويظهره غير متناسق ومتوافق، وإلا فقل لي كيف توفّق بين قاعدة التوحيد الحق، وبين أن تنبت عليها ولاية معاوية ويزيد، أو ولاية مرشح الأغلبية إذا جاء شخصية لا توافق شرع الله، ولا تلتقي معه على خط؟!

أدين منسجم هذا؟!، أو دين متهافت؟

أتوحيد يؤسِّس للطاغوتية، ويحتضنها؟!!

إنّ النقص الداخل على الدين بانحراف خط الإمامة عن مطروحها الإلهي، يمكن لنا أن نأخذ صورة عن عمقه وسعته وتأثيره الكبير من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، قد يصل الأثر إلى حد أن عدم تبليغ

أمر الإمامة منزّل منزلة عدم تبليغ الرسالة الإلهية أصلًا، فالأثر على هذا عميق وشامل ودائم ومضر بالإسلام كله، فانظروا إلى ذيل (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) وهو ذيل جاء في طول ما يقرّر إبلاغ الإمامة بالتفسير الذي تذهب إليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فمن كابرها وقع في درجة من الكفر العملي، وانثلم إيمانه وإن بقي إسلامه.

ثانيًا: تغييب الإمامة بَسْط للطاغوت

إنّ نعمة الوجود والحياة نعمة كبرى ولكن لها غاية، وغايتها أن يبلغ الموجود حدّ كماله، وكمال الإنسان في كمال روحه الذي يتم على طريق عبوديته وعبادته لله سبحانه في كل مساحات حياته، الشيء الذي لا يتم للناس في ظل أوضاع طاغوتية تصرف عن الله.

والطاغوتية البديل العملي الضروري، عندما يغيب خط الإمامة الذي يركز الولاء لله، فنعمة الوجود والحياة والدين يحتاج تمامها إلى إمامة من تصميم يد الإبداع الإلهي، وقد أتمّت هذه النعمة بذلك التصميم، وبما بلّغ به رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن الولاية. ومن بعد ذلك تبقى المسؤوليَّة مسؤولية العباد أنفسهم.

ثالثًا: الإسلام المرتضى

الإسلام الذي ارتضاه الله دينًا لعباده ممثلًا لصورة صادقة من عطاء علمه وحكمته وعدله، هو إسلام تكون الإمامة في تصميمها الإلهي أصلًا من أصوله، وركيزة من ركائزه، وهو الموازي في مصطلح الإمامية للإيمان.

وهذا التفريق بين مصطلحي الإيمان والإسلام واقع موقعه حتى لا يتوهم خروج من أدّى الشهادتين عن الدائرة العامة للإسلام، والتي تكفل بها عدة حقوق للمسلم، وتحقن بها الدماء والأموال والأعراض، ويكون على أساسها التناكح والتوارث، هذا من جهة، وحتى لا يضيع معنى الإسلام الأكمل، والصورة الأصل التي تحتفظ بالإشعاع التام لما كان عليه وحي الرسالة.

وعليه لو جاءت النتائج قاصرة ومضطربة، وحصلت فجوات بل انتكاسات وكوارث وارباكات في غياب أصل الإمامة، فذلك كله شيئ مرتقب، ولا يحمّل مسؤوليته الإسلام.

رابعًا: عند التَّعارض يقلُّ الدَّيَّانون

كان الناس ولا زالوا يقبلون بشيء من الدين لا يمس مصالحهم

ومواقعهم، فإذا ما اقترب من ملامسة هذه الدائرة أنكروه، أو تأولوه وزوّروه، وتحايلوا عليه احتفاظًا بالمصالح، وهي موهومة مذمومة، وحرصًا على المواقع، وهي ذاهبة مشؤومة.

خامسًا: ولاءهم ولاء لله ومنهجه

الولاء لأئمَّة أهل البيت عليهم السلام هو ولاء لله أولًا، ورضى بحكمه العادل، وولاء للمنهج الإسلامي كاملًا بكل مفرداته وتركيبته وتكاليفه ومقتضياته.

وهو ولاء لا يعدل بهم عليهم السلام أحدًا ممن يزاحمهم من الناس، ولا يتعدى بهم موقع العبودية المحضة، والعبادة الخالصة الصادقة لله سبحانه.

والإفراط والتفريط في هذا الأمر معًا مردودان من كتاب الله، وسنَّة رسوله صلى الله عليه وآله على صاحبهما.

سادسًا: سكوتهم رأفة لا خيانة

نتعلم من آية (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) أنّ الرأي السديد قد يُخفى على الناس تآمرًا على الحق، وخيانة للحق، وقد يخفى هذا الرأي شفقة على الخلق، وإبقاء على شيئ من الحق، ولقد سكت أئمة الهدى من

أهل بيت العصمة عليهم السلام عن بعض الحق من المنطلق الثاني، وكان تدرج الأحكام في الإسلام من هذا المنطلق نفسه، وهذا داخل في مخاطبة الناس بقدر عقولهم.

- **انعكاسات الالتزام بخط الإمامة**

١- الإيمان بأن انبعاث الأمَّة الانبعاثة الشاملة، وعودة الإسلام إلى موقع الريادة العملية في الأرض وتطبيقه التطبيق التام العادل، لا ينفصل عن عودة الإمامة الراشدة، على يد المعصوم وهو المنتظر من آل محمد صلى الله عليه وآله، فليست تصلح الدنيا في آخرها إلا بما صلحت به في أولها. صلحت دنيا الإسلام برسول الله صلى الله عليه وآله، ومنهجه الكامل، وتصلح الدنيا في آخرها بمنهج الإسلام والمعصومين عليهم السلام، والقائم عجل الله تعالى فرجه الشريف...، قل صلحت، وتصلح بالمعصومين من المنهج والقيادة.

والمطروح هنا لا يسقط عن المسلمين واجب التحرك في إصلاح شؤونهم أبدًا، بل يفرض علينا الأمل في ظهور الإمام القائم عليه السلام، والتمهيد له أن ننشط أكثر فأكثر، في محاولة إقامة العدل في الأرض.

٢- عدم إمكان الإيمان فكريًّا ونفسيًّا بالنظم الأرضية.

أنت مؤمن بيوم الولاية يوم الغدير، بإمامة علي عليه السلام، بضرورة الإمامة المعصومة، بالإسلام الكامل، ويترتب على هذا عدم إمكان الإيمان فكريًّا ونفسيًّا بالنُّظم الأرضية قاطبة، بالنُّظم الأرضية التي لا تمثل امتدادًا طبيعيًّا لخط الإمامة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة المواجهة العملية، بل يمكن التعايش العملي والتعامل السلمي الواقعي مع هذه الأنظمة إذا لم تعلن حربها على الإسلام، والمسلمين في دينهم ودنياهم، والتعاون معها في أمور الخير، وبناء مصالح البلاد الإسلامية، وتحسين وضع المسلمين، والدفاع عن حقوقهم وموقعيتهم، وإقرار الأمن والسلام بالقدر الميسور، وكل ذلك بما يوافق حدود الشريعة وأحكامها العادلة، ولقد ضربت سيرة الأئمة عليهم السلام المَثَل الحيَّ في الحفاظ على مصالح الإسلام والمسلمين، والتعايش السلمي، وإسداء النصيحة العملية لحكومات لا يرون شرعيتها من ناحية دينية، من دون أن يشاركوا في ظلم، أو يعينوا على باطل، أو يقصروا في واجب، أو تجري على يدهم مداهنة لا يأذن بها الله سبحانه وتعالى. فاعتقاد أن الشرعية الدينية مقصورة على خط الإمامة أصلاً وامتدادًا لا يعني سياسة المواجهة العملية، أو الخروج من جسم

الأمَّـة، أو تكفيرها وشـهر السـيف في وجهها، وعـدم التعاون على الخير مع أي فئة من فئاتها.

ولا بـد أن نفـرّق بين الشـرعية التي تحـاول الأنظمة الأرضـية أن تكتسـبها؛ تقويـة لكياناتها، وبين الشـرعية الإسـلامية المعنية، في لسـان الفقه الإسلامي، فالأولى شـرعية بحسب القانون الوضعي، ونظر المؤسسـات السياسية العالمية اليوم، والدول الوضعية، وهيئة الأمم المتحدة - مثلًا -، والثانية مقياسـها تمشي النظام والمنظور الشرعي الإسلامي في تكوينه وبنيته.

٣- يحـرم في ظـل الانتماء إلى خـط الإمامة تثقيـف الأمَّة بثقافة غربيـة، أو أي ثقافـة أرضـية أخـرى بديلة، ولذلك جـرى ويجري التركيز دائمًا على إمامة الإمام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.[٦]

الغدير والولاية

أمـا بعد يا إخـوة الإيمان، فأهنئكـم بيوم الغدير الأغـر، وبقائكم علـى عهد الولايـة لله، ولرسـوله صلى الله عليه وآله، ولأمير المؤمنـين، وإمام

٦ - آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٩) بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٢هـ، الموافق ٨-٣-٢٠٠٢ م.

المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي ولاية شاملة لأمور الدنيا والدين، وتجمع بين الطاعة والمحبَّة والنُّصرة، وهي ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيِّه عليٍّ عليه السلام بأمر من الله، وموضوعها العصمة في العلم والعمل، والأكمليّة والأفضليَّة المطلقة في الناس.

بل كما قد أثبتتها الوصية من الرسول صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين أثبتتها للأئمَّة المعصومين من بعده (عليهم جميعًا السَّلام). والوظيفة الأم للإمام الشرعي، لا تختلف فيما عدا تلقّي الوحي عن وظيفة الرسول صلى الله عليه وآله، وتتركز في تكميل البشر، وتربيتهم تربية إلهيَّة رفيعة في كل أبعاد الحياة، ووضعهم على المسار العباديّ الواصل إلى الله سبحانه، وهو الصراط المستقيم، وتولي الشأن السياسي، وتصريفُ أمور الأمَّة بُعدٌ من الأبعاد التي تقع على طريق التكميل والتربية الشاملة، والنهوض بمستوى الإنسان الذي يُسأل عنه الإمام، ويجب الانقياد إليه من أجله. فخطُّ الوَلاية لحفظ الإسلام، والنأي به عن الخطأ، والتحريف في الرأي والتطبيق، وصناعة الإنسان على ضوئه، ولوحدة الأمَّة واستقلاليتها، وعزّتها، وكرامتها، وسَبْقها. وهو بما يُمثِّل من نقاء الإسلام وحقانيته وربَّانيته، وانفتاحه على

المصـالح الحقيقية لكل الشـعوب والأقوام لا بـد أن يكون من أجل الأخـوَّة الإنسـانية العامة، والعدل في كل النّاس، والتربية القويمة لكل العالم، والسِّلم والأمن الشامل والكامل.

فأطروحـة الوَلاية بريئة من الضـيق، والشُّـحِّ والأنانيَّة والانغلاق، من التعصـب الأعمـى، من الصـراع على المصـالح الدنيوية، من الاسـتعلاء والاسـتكبار، من الحقد والانفعالات العدوانية كما هي براءة الإسلام، وطهرُه، ونقاؤه.
وكما أنَّ أزمات الأمَّة، والعالم راجعة في أصلها إلى الانفصال عن هذا الخط، فكذلك لا يتم انعتاق العالم من أسر أزماته إلا بالعودة إليه.
وما كانت الأرض تشـهد ما تشـهده اليوم من حكم الهوى والفساد والفَوضـى والاضطراب لو حفظت وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في وليِّ الله، والخليفة الحقِّ بعد الرسـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كمـا في موازين الكتاب، وضوابط السُّنة.

وعندما يتحقق النصـر لمهـديّ الأمَّة، ويملأ الأرض قسـطًا وعدلًا بعدمـا ملئت ظلمًا وجورًا، وتُشـرق الأرض بضـياء الإسـلام، ونور ربِّها على يديه الكريمتين بفضـل الله العظيم، سيتبينُ الناس مدى

ما جنوه على أنفسهم، وما ضيعوه من هدى، وما خسروا من فلاح بتعطيلهم دور بيت النبوة والرسالة والإمامة كل هذا الوقت الطويل. وعندئذ ستتحقق الدنيا أنَّ الإسلام بلا حدود أرضيَّة، وأن ولاته الحقيقيين، لا شرقيون ولا غربيون، ولا مكّيون، ولا مدنيون همًّا وأفقًا وسعةً ورحمة، وإنما هم للعالم كله، والإنسان على إطلاقه؛ لإنقاذه، سلامته، هدايته، رُقيه، دنياه وآخرته، وأنهم أولى النَّاس بالناس، وأشدهم رأفة بهم، وحرصًا على أن يبلغوا بهم الكمالَ، وتتحقق لهم السعادة؛ كانوا من بيض أو سود، من شرق أو غرب.[٧] يوم الغدير الأغر يوم الولاية لله ورسوله، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

وإنه لا للدين فحسب، وإنما للدين والدنيا مجتمعَين، وليس لسعادة أمَّة غير أمَّة، وإنما هو لسعادة الإنسانيَّة كاملة. إنه لاستقامة الدِّين، ونقائه وصفائه وصدقه، وحيويته وفاعليته وحاكميته.

وإنه لأمنِ الدنيا واستقرارها ونموها وتقدمها ورفاهها وهنائها، ولأخوَّة الناس فيها، وللعدل والمساواةِ والإنصاف، ولأن تُشرقَ

٧- خطبة الجمعة (٩٩) ١٩ ذي الحجة ١٤٢٣هـ - الموافق ٢١ فبراير ٢٠٠٣ م.

الأرض بنور ربها، فتكون من ذلك الهدايةُ والمحبةُ والأنسُ والسعادة للجميع ممن يحب الخير، ويستجيب له.

كان الغدير؛ ليقوى ويتركّز، ويتجذر به الإسلام، ولا يأتيَ عليه انحراف ولا تحريف، ولتُبنى هذه الأمَّة بناءً إيمانيًّا شامخًا، فتهتدي بها كلُّ الأُمم، وتستنير بضوئها كل المجتمعات، فتذهب العداوة بين الناس من غرس الشيطان، وتتثبَّت الأخوَّة في الله، ومن فيض هداه.

كان الغدير - كما هو الإسلام أصلًا -؛ لتكون الأمم جميعًا أمَّة واحدة - كما هو الإسلام - تجتمع على مائدة الإيمان الصادق، والعلم الثابت، والعمل الصالح، وتعيش حقيقة العدل والتقوى والمحبة والإحسان...، أمةً تصنع الدنيا جنةً في ضوء منهج الله، وتكتسب جدارتها فيها لجنة الآخرة.

وإننا لنرى أن الأمَّةَ تظلِم نفسها، وتظلِم كلّ الأمم حين تتخلَّى عن سفينة النجاة، وأمناء الله في الأرض، وخزنةِ علم الكتاب، وورثة علم النبيين، ومصابيح الدجى، وأئمَّة الهدى من آل محمد (صلَّى الله عليه وعليهم أجمعين).

وستبقى الأمَّة تُعاني من خطئها الكبير، وتتلقى الهزيمة بعد الهزيمة، وتحلُّ بدارها الكارثةُ تلو الكارثة، وستبقى البشرية معها معذّبة يدير أمرها الجاهلون، ويستبدُّ بمقدُراتها، ويعبث بكرامتها الطغاة الجبابرة المستكبرون في الأرض؛ حتى تفيء إلى أمر الله، وترجع في أمرها إلى آل الله وهم عبيده المقربون منه تعالى من قربى رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولن تقترب هذه الأمَّة من هداها ورشدها وأمانها وعزتها وكرامتها إلا بمقدار ما تقترب في رضىً، وتسليمٍ من حَملة علم الكتاب، وورثةِ النَّبيين في هداهم وخطهم وطرحهم ومدرستهم.
ولا نشك أن كل ما عند الصحابة الأخيار وغيرهم من التابعين بإحسان من صحيح الحديث، وسديد الرأي هو عند أهل البيت عليهم السلام.

ثم إنه ليس كلُّ ما عند أهلُ البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) من العلم والحق قد وصل سائر المسلمين.
وما اختلف مختلفٌ مع أهل بيت النبوة إلا وكان الحقُّ في الجانب الذي جاء فيه ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣).

ولقد جاء: «عليٌّ مع الحقّ والحق مع عليٍّ يدور معه حيثما دار».[٨]

وتأمَّلوا في قوله تعالى مخاطبًا نبيه الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ❖ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر:٣١-٣٢).

فمن هم المصطفَون بعد خاتم الرسل صلى الله عليه وآله الذين أُورثوا الكتاب، وكانوا أهلًا لتحمُّل ثِقل أمانته علمًا وعملًا وتبليغًا، وتبيانًا دقيقًا، وتطبيقًا صائبًا على صعيد الأمَّة مهما اتسعت رقعتها وامتدت في الناس؟

وأين تضع الأمَّة عليًّا وبنيه عليهم السلام؟

أفي الظالمي أنفسهم؟، أم في المقتصدين الذين هم على استقامة؟، أم في سواء الطريق لكنهم مسبوقون من فئة أخرى من المؤمنين بصورة واضحة تفرض عليهم أن يكونوا مقتدين بتلك الفئة، لا أن يقدِّموا أنفسهم للأمَّة بكل مستوياتها أئمةً وقدوة؟

الأئمَّة نضعهم في الفئة الأولى؟، أم الفئة الثانية؟؛ ليكون غيرهم

٨- بحار الأنوار، العلامة المجلسي الجزء: ٣٠ الوفاة: ١١١١- تحقيق: الشيخ عبد الزهراء العلوي - سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م - الناشر: دار الرضا، بيروت - لبنان.

في الفئة الثالثة، فئة السابقين بالخيرات؟

إذا كان كذلك - يعني إذا وضعنا الأئمة عليهم السلام في الفئة الأولى، أو في الفئة الثانية، وجعلنا الفئة الثالثة السابقة للخيرات غيرهم - فمن هم السابقون بالخيرات في الأمَّة، والذين كان على عليٍّ، والحسنين، والسجاد، والباقر، والصادق، وباقي الأئمَّة عليهم السلام أن يقتدوا بهم، ويأخذوا منهم علم الكتاب، ويقدِّموهم، ولا يتقدموهم؟ أيدخل في تلك الفئة السابقة بالخيرات الوارثة للكتاب التي على أهل البيت عليهم السلام أن يُذعنوا لها في تلقي علم الكتاب وأسراره معاويةُ في قبال علي، والحسن عليهما السلام ؟، ويزيد في قِبال الحسين عليه السلام؟

ثم الخلفاء من بني أمية، وبني العباس الذين عاصروا الباقر، والصادق، وبقية أهل بيت الرسالة عليهم السلام؟[٩]

وهل دخل الخلفاء الثلاثة في منافسةٍ مع علي عليه السلام في علم القرآن، وقضائه، وأحكام الشريعة وغوامضها؟

المعروف من الخلفاء أنهم يسألون عليًا عليه السلام، ولا ينافسونه في علم الكتاب.

٩- تقرؤون كتيبات كثيرة فيها شبهات، ارجعوا إلى الأصل، أصل المسألة، انظروا من هم المصطفون، فإذا عرفتم من هم المصطفون كفى، وسهل عليكم أن ترموا بكل الكتيبات المشككة. (الشيخ)

وهـل قدّم أحد نفسـه للأمَّة مـن دون أهل البيـت عليهم السلام - ولو على مسـتوى الدعوى - باعتباره مرجعية نهائية بعد رسـول الله في علم القرآن، وحجة على غيره بلا منازع؟

عبـد الله بن عباس مفسـر كبير، وأكـبر المفسـرين، كان يعارض الأئمَّة عليهم السلام، أو يتتلمذ على أيديهم؟!

وهل قدّم أحدٌ أحدًا من الأمَّة جمعاء باعتباره صـاحب هذا الموقع، وبما هو وارث للكتاب وراثة كفاءةٍ علمية وعملية وأمانة والتزام؟

لا نعـرف أحدًا من الأمَّة كلها قديمها وحديثها بمن فيها من خلفاء وعلماء ومفسـرين لهم شـأنٌ معروف، ومنزلةٌ علمية من غير أهل البيت عليهم السلام الذين صـرّحوا بهذه المنزلة لأنفسهم وتم النقل المتواتر عنهم بذلك، وشـهدت مواقفهم العلمية والعملية بصدقه وواقعيته قد ادّعى منزلة الوراثة والاصـطفاء الإلهي التي نصت عليها الآية الكريمة.

وبـعـد خلـو الأمَّـة مـن دعـوى الاصـطفاء والوراثة لعلـم الكتاب لأشـخاص بعينهم تكون الآية الكريمة لا مصداق لها كل هذه المدة الطويلـة مـن التاريخ لـو لم يأتِ مـا يُثبت أن أهـل البيت عليهم السلام هم أولئك النفر.

ولا يتصور أن لا يأتي ورثةُ الكتاب إلا بعد القرون المتطاولة.
إذًا أيـن حاجـة كل هـذه القـرون إلى علـم الكتـاب وحراسـته؟ ولا يصـح أن يُقـال بـأن الأمَّةَ بمجموعهـا هي وارثـة الكتاب على مستوى فهم مراميه وأسراره وحفظ أحكامه، وإقامتها وإن لم يكن نفـرٌ بعينه منها متوافرًا على هذا الوصـف، لأنَّ ضـمّ الجاهل إلى الجاهل وإن بلغ العدد بذلك الملايين لا ينتج أمَّةً عالمة.

ولا يصـح كذلك بأن الأمَّة بكل واحدٍ مـن أفرادها، أو من علمائها علـى الأقـل وارثةٌ للكتـاب بحق، إذ أن هـذا أمرٌ يكذبـه الوجدان، ويرده التهافت في أقوال العلماء والمفسرين.
ولنتذكـر أن محمـدًا وآلـه (صـلوات الله عليهـم أجمعـين) مـن آل إبراهيـم عليه السلام، وقـال قـال الله سـبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَى آدَمَ وَنُوحًـا وَآلَ إِبْرَاهِيـمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَـى الْعَالَمِـينَ﴾ (آل عمـران:٣٣)، ومـن المقطـوع بـه أن الرسـول صلى الله عليه وآله مـن هـذه الذريـة المباركـة المصـطفاه ممـا يلقي ضـوءًا علـى المعنيِّ بالمصـطفين في هذه الأمَّة بعد رسـوله الكريم صلى الله عليه وآله خاصـةً وأن هذا الاصـطفاء لم يثبت لذريـةٍ أخرى بعد نبي الإسـلام العظيم. أضـف إلى آية الاصـطفاء آية التطهير منضـمةً إلى مـورد نزولها

وتطبيقها المتكرر من المصطفى صلى الله عليه وآله، وأمثال آية المباهلة والمودَّة، ثم حديث الثقلين، والأحاديث الكثر أمثال حديث المنزلة، وحديث الدَّار، وحيث الكتف والدَّواة؛ وهي أحاديث تزخر بها المصادر الأولى عند المسلمين في الحديث والتاريخ، وكلها تقود المسلم إلى تعيين المصطفين بعد رسول الله وهم الصفوة من أئمَّة الهدى من آله (عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم).

وإذا عرفتَ المصطفَين فتمسّك بحبلهم، فلن ينتهوا بك إلى نار، ولن ينتهوا بك إلا إلى الجنة.[١٠]

الغدير والواقع المعاصر

تمر بنا هذه الأيام مناسبة من مناسبات الإسلام الكبيرة وهي مناسبة «الغدير»، وقضية الغدير ليست حدثًا في التاريخ يسعنا أن نتجاوزه، أو أن نغلق ملّفه حيث انتهت حيثياته الزمانية والمكانية. هكذا يفكر البعض حيث يرى أنّه من الأصلح لواقع المسلمين أن يتجاوزوا بعض أحداث التاريخ، وأن يغلقوا ملفاتها، خاصة الأحداث التي تستثير الحساسيات المذهبية بين المسلمين، وتحرك

١٠ - آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٤١) ٢٢ ذو الحجة ١٤٢٤هـ - ١٣ فبراير ٢٠٠٤ م.

الخلافات والصراعات، والجدليات العقيمة، ومن هذه القضايا قضية الغدير، فهي - كما يقول هذا البعض:

أولًا: قضية تاريخية بحته لا جدوى من إثارتها في واقع الأمَّة المعاصر، فهل أنَّ الجدل حولها سيغيّر من الواقع التاريخي شيئًا؟ فإن كان عليّ بن أبي طالب هو صاحب الحق في الخلافة - حسب وجهة النظر الشيعية - ، فقد مضى عليّ عليه السلام، ومضى الآخرون الذين تسلّموا السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فالجدل في هذا الموضوع لن يعيد الحق إلى علي عليه السلام، ولن يجرد أولئك من السلطة والحكم والخلافة، وقد مضى الجميع، ومضى التاريخ، ولا نملك القدرة في أن نغيّر شيئًا من مجرياته وأحداثه وحيثياته ووقائعه، فخير للأمَّة في واقعها الراهن أن تجمّد الحديث حول هذه الموضوعات الاستهلاكية التي لا جدوى من إثارتها وتحريكها.

ثانيًا: إنَّ إثارة وتحريك مسألة الغدير، أو بعض المسائل التي شكلّت نقاط توتر وخلاف تاريخي بين المسلمين يؤدي إلى إيقاظ كلَّ الحساسيات والصراعات والعداوات، ممَّا يؤثر سلبًا على الدعوات الجادة والمخلصة إلى توحيد المسلمين في مواجهة كلّ

التحديات الصعبة التي تحاصرهم من قبل أعداء الإسلام، فتحريك القضايا الخلافية الحادة - كقضية الغدير - يصادر أيّ مشروع نحو الوحدة والتقارب والتآلف في داخل الأمَّة. فمن أجل حماية مشروع الوحدة الإسلامية يجب تجميد «الجدل التاريخي» حول مسألة الغدير بما تحمله هذه المسألة من إثارات خطيرة تهدّد وحدة المسلمين، وإذا صحت الرؤية الشيعية حول أحقية عليّ بن أبي طالب بالخلافة، فـ(عليٌّ) نفسه جمّد حقه، وجمّد المطالب به وإثارته؛ من أجل وحدة المسلمين، ومن أجل حماية الإسلام، فلماذا يصرّ أتباعه على المطالبة بهذا الحق، وتحريكه، وإثارته، مما يضرّ بوحدة المسلمين، ويضر بمصلحة الإسلام نفسه؟

ثالثًا: إنَّ الانشغال بالخلافات التاريخية سيكون على حساب الاهتمام بالقضايا المصيرية المهمة التي تعيش في واقع المسلمين المعاصر، وما أكثر هذه القضايا المتحركة في الواقع السياسي والواقع الثقافي والواقع الاجتماعي والواقع الاقتصادي، فالتفريط في هذه القضايا تفريط بكل واقع الأمَّة، وبكل حاضرها ومستقبلها.

ولنا عدة ملاحظات حول هذا الطرح:

الملاحظة الأولى: إنَّ قضية الغدير ليست قضية تاريخية بحته، صحيح أنَّ وقائعها حدثت في التاريخ، وأنَّ ملفّاتها هي ضمن ملفات التاريخ، إلَّا أنّها مسألة في الصميم من مكوّنات الرؤية الإسلامية في فهم القيادة، وهذه الرؤية متحركة بحركة الزمن، مادام هناك ضرورة إلى فهم الإسلام ومادام هناك ضرورة إلى تطبيق الإسلام، فمتى كانت رؤى الإسلام، وأفكاره، ومفاهيمه، وقيمه مرهونة بزمان محدود، أو مكان محدود.

لا ضير أن يتعدد الفهم، وتتعدد الاجتهادات حول هذه المسألة أو تلك المسألة، شريطة أن يخضع هذا الفهم أو تلك الاجتهادات إلى الأسس العلمية والضوابط الشرعية، وإلَّا كان ذلك سببًا في تحريف الأفكار والمفاهيم، وفي تشويه الرؤية، فنحن لا نرفض أن يكون هناك رأي آخر في مسألة «القيادة»، أو فهم آخر، أو اجتهاد آخر، وإنَّ من حق أيّ إنسان أن يكوّن رؤيته في مسائل العقيدة، أو في مسائل الفقه، أو في مسائل السّياسة مادامت هذه الرؤية لا تنطلق من هوى، أو مَزاج، أو تعصب، أو جهل، وإنّما تنطلق من أسس الاجتهاد الصحيح، ومن توفّر القدرة العلمية، والمؤهل الاجتهادي في الفهم والاستنباط، وقد تصيب هذه الرؤية وقد تخطئ، إلَّا أنَّه معذور مادام خاضعًا لشروط التفكير الصحيح.

في ضوء هذا التصور نقول: إنَّ قضية إثباتًا أو نفيًا لها انعكاساتها الكبيرة في تحديد الرؤية الإسلامية حول مفهوم القيادة، فإذا أثبتنا قضية الغدير بكلّ دلالاتها - كما هو قناعتنا - ، فإنَّ هذا يضعنا أمام فهم لمسألة القيادة الفكرية والروحية والسّياسية.

وفي المقابل، فإن النفي لقضية الغدير أو النفي لدلالاتها - كما هو الرأي الآخر - ، فإن ذلك يشكل فهماً مغايرًا تمامًا لمسألة القيادة الفكرية والروحية والسّياسية، فليس ترفًا فكريًّا، أو تاريخيًّا أن نصرّ على معالجة مسألة الغدير، والتعاطي معها دراسة وبحثًا، وإحياء.

فالقضية ليست أن نغيّر مجريات التاريخ ووقائعه، أو نعيد عليًّا إلى كرسي الخلافة، فذلك تاريخ لا يتغير، ولكن القضية أنَّ حادثة الغدير، وحديث الغدير يشكلان تأسيسًا لمفهوم القيادة بكل امتداداتها الفكرية والروحية والسياسية، وهذا المفهوم هو جزء خطير في البنية الإسلامية والرؤية الإسلامية مما يفرض أن نملك فهمًا واضحًا لهذه المسألة.

كما أنَّ قضية الغدير لا تعني - فقط - الخلافة في واقعها التاريخي، وإنَّما تعني أيضًا المرجعية الفكرية والفقهية، وهي مرجعية ممتدة

مادامت الدنيا، ومادام الدين باقيًا، ومادام القرآن باقيًا، وهذا ما أكده حديث الثقلين: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدًا، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

الملاحظة الثانية: إنَّ تحريك قضية الغدير لا يتنافى مع مشروع الوحدة الإسلامية، ولا ينتج الخلافات والصراعات، ولا يستثير الحساسيات، وذلك للأسباب التالية:

١- هناك - في الفكر الإسلامي - نظريتان حول مسألة الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله:

- ❖ النظرية الأولى: تؤمن بمبدأ النص.
- ❖ النظرية الثانية: تؤمن بمبدأ الانتخاب.

ولا نريد هنا أن ندخل في البحث العلمي الذي يؤكد هذه النظرية أو تلك، وقد تناولت كتب المسلمين ذلك تفصيلًا.

وما أريد أن أقوله هنا: لماذا نحمّل الحديث عن مسألة النص والإمامة مسؤولية الخلافات، والصراعات بين المسلمين، ولا نحمّل الحديث عن مسألة الخلافة - وفق المنظور الآخر- هذه المسؤولية، فهل من الإنصاف العلمي أن نسمح للرأي الرافض

للنص أن يتحرك، ولا نسمح للرأي المؤمن بالنص أن يتحرك؟ فهل إذا جمّدنا الحديث عن قضية الإمامة، سوف يجمّد الآخرون الحديث عن الخلافة؟!

٢- إنَّ الصراعات والخلافات ليست ناشئة من طرح هذه النظرية، أو تلك النظرية، وإن تعددت النظريات، وإنّما المسؤول عن كثير من الإثارات والحساسيات والخلافات هو طريقة المعالجة والدراسة والطرح، فإنَّ هذه الطريقة لها منهجان:

المنهج الأول: المنهج الموضوعي العلمي.

المنهج الثاني: المنهج غير الموضوعي وغير العلمي.

فلو اعتمدنا جميعًا المنهج الأول لماذا حدثت هذه الخلافات والصراعات؟، ولكن غياب المنهج العلمي والموضوعي هو الذي أنتج هذا الواقع المتأزم.

مشكلتنا أننا نعالج قضايانا بأساليب انفعالية، وأساليب مزاجية، وأساليب غير موضوعية وغير علمية مما يسبب هذه الأجواء المتشنجة والمضطربة، ومما يسبب العداوات والصراعات والخلافات.

ليس المشكلة في الاختلاف، وإنما المشكلة في إدارة هذا الاختلاف،

وفي معالجة هذا الاختلاف، وفي حماية هذا الاختلاف أن يتحول إلى خلاف وصراع.

٣- إنَّ الخلافات التي تتحرك في ساحتنا الإسلامية يقف وراءها عدة عوامل:

❖ العامل الأول: الجهل، وغياب الوعي.

❖ العامل الثاني: التعصب، وتغليب الهوى والعواطف والأمزجة.

❖ العامل الثالث: وجود العناصر المخربة في داخل الأمَّة، والتي يهمها إثارة الفوضى والصراع والخلاف؛ من أجل أن تغذّي مطامعها الخاصة، وأغراضها المشبوهة.

❖ العامل الرابع: السّياسات المنحرفة، والتي تستفيد من اللعب على الصراعات، والعداوات، والتناقضات بين أبناء الأمَّة الواحدة، أو بين أبناء الشعب الواحد، أو بين أبناء الجماعة الواحدة؛ من أجل إلهاء الناس، وإشغالهم عن التوجه إلى محاسبة تلك السياسات، أو التمرد على تلك السياسات، فالشعب الذي تشغله صراعاته الداخلية لا يتفرغ لمحاسبة، أو مواجهة الحاكم، أو النظام أو السّياسة، والشعب الذي تستهلكه خلافاته لا يمكن أن يتوجه إلى المطالبة بحقوقه المصادرة.

❖ العامل الخامس: القوى الاستكبارية الكافرة، إنَّ هذه القوى؛ من أجل أن تمرر مشروعاتها في أوساط المسلمين لا بدّ أن تمارس سياسات التمزيق والتفريق والإختلاف، ومن خلال هذه السياسات استطاعت قوى الكفر والاستكبار أن تفرض هيمنتها السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية.

وهكذا تكالبت قوى الاستكبار على كلّ مقدراتنا وثرواتنا وأراضينا، يوم أصبحنا غثاءً كغثاء السيل، كما عبّر عن ذلك الحديث النبوي: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أمن قلة فينا يومئذٍ يا رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال صلى الله عليه وآله: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت».[11] من الأسباب التي عقّدت العلاقات هو غياب الحوار العلمي الهادف، مما دفع بالكثير من نقاط الاختلاف إلى مواقع المواجهة، ومما كرّس عوامل التوتر والتأزم في داخل الأمَّة، وكلّما تحرك الحوار وفق المنهج القرآني كان ذلك عاملاً مهمًّا من عوامل تطويق الخلافات والصراعات، ومعالجة الكثير من الإشكالات والتناقضات.

١١- معجم أحاديث الإمام المهدي (ع) الجزء: ١- الطبعة: الأولى- سنة الطبع: ١٤١١- المطبعة : بهمن- الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم.

مشـكلتنا أنّنا لا نتحاور، وإذا تحاورنا لم نلتزم بمنهج الحوار، وإذا التزمنا بمنهج الحوار لم نملـك الجرأة أن نعترف بنتيجة الحوار، وإذا اعترفنـا بنتيجـة الحـوار، لم نملـك الشـجاعة أن نصـحح أوضاعنا، أو قناعاتنا.

الملاحظة الأخيرة: إنَّ التعاطي مع الاختلافات العقيدية والفكرية والفقهيـة والسّياسـية وفق المنهج العلمي لا يفصـلنا عن قضـايانا المصـيرية، بـل إنّ هذا التعاطي الواعي يؤصـل فينا حسَّ الارتباط بكل قضـايا السَّـاحة، وينمّـي في داخلنـا روح التواصـل مع هموم المرحلـة، ويدفعنـا أكثر أن نتحمل مسـؤولية الإنتمـاء والدفاع عن الهُويـة، في مواجهة كلِّ مشـروعات المصـادرة، والتغيـب والإلغاء، وعلى كل المسـتويات الروحية والثقافية والاجتماعية والاقتصـادية والسّياسية، ثمَّ إننا أكدنا أنّ الحديث عن قضية الغدير حديث عن دور القيادة، وما يفرضه هذا الدور من التصدّي لكلِّ قضايا الأمَّة، ولكل حاجاتها واهتماماتها وطموحاتها وتطلعاتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.[١٢]

---

١٢ - العلامة السيد عبد الله الغريفي، حديث الجمعة (٤٧) تاريخ ١٨-٠١-٢٠٠٦ م - المكان: مسجد الإمام الصادق عليه السلام بالقفول.

الشيخ عيسى أحمد قاسم

سماحة آية الله

عيد الغدير له حقوق، وعلينا أن نقترب بمستوانا إلى مستوى تلك الحقوق.

حقوقٌ بعضها مظاهر، وبعضها من العمق، وتقصيرنا على المستويين، ونرجو أن نخرج من هذا التقصير.

نحن حتى على مستوى المظاهر لا نعطي يوم الغدير حقه! فعلينا أن نعطي الاهتمام الذي لا أقول أنَّه سيتناسب مع عيد الغدير، ولكن يكون فيه أداء بعض ما ينبغي.

نرحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:
مبنى:٤٠ ، طريق ٤٨ ، مجمع ٤٤٤ ، هاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢ فاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠ ، الإدارة النسويّة : تليفاكس: ١٧٥٩٢٦٧٣
حلة العبد الصالح ، مملكة البحرين - الموقع الإلكتروني: www.olamaa.net البريد الإلكتروني: info@olamaa.net